المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والستين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٥ — الموافق ٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٣

اول رائد مصري حديث

[قرأنا المقالة التي نشرتها المجلة الجغرافية الوطنية (الاميركية) من قلم الرائد المصري الهمام احمد حسنين بك والخطبة النفيسة التي تلاها في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز ونشرت في اعمالها فترجمنا منهما الملخص التالي وابقينا الكلام فيه بصيغة المتكلم والحقنا به خلاصة ما كتبته المجلتان في هذا الصدد]

ان رحلتي التي قطعتُ بها صحراء ليبيا من السلوم على شاطئ البحر المتوسط الى الأبيض قاعدة كردفان بالسودان (انظر الخريطة) رحلتها في النصف الاول من سنة ١٩٢٣ . وقد بدا لي الشوق الى هذه الرحلة سنة ١٩١٦ فان الكولونل تلبُت وكان ضابطاً ممتازاً في الجيش المصري وقد استقال منهُ عاد الى الخدمة حالما استعرت نار الحرب العالمية فذهبت معهُ موفداً الى السيد ادريس السنوسي في الزويتنة . وكان من اغراض هذه البعثة الاتفاق معهُ كزعيم للسنوسية على منع البدو من مهاجمة تخوم مصر الغربية وكنت قد تعرفت بهِ في مصر وهو راجع من الحج سنة ١٩١٥ لانهُ كان صديقاً لابي . فاخبرتهُ حينئذٍ عن رغبتي في زيارة الكنفرة التي لم يصل اليها من الاجانب الأرجل واحد وهو الرحالة الالماني رولفس وذلك سنة ١٨٧٩ . فابدى سروره من رغبتي هذه وطلب مني ان اخبرهُ حينما انوي الرحلة ووعدني بكل مساعدة . ثم زرتهُ ثانية سنة ١٩١٧ وقلت لهُ اني لا ازال مصمماً على الذهاب الى الكنفرة وسألته حالما تضع الحرب اوزارها . فزاد في ترغيبي وكرر وعدهُ لي وكان معي حينئذٍ المستر فرنسيس رود وهو من اصدقائي الذين صادقتهم في كلية بليول بجامعة اكسفرد فبحثنا في امر الرحلة واتفقنا على ان نقوم بها كلانا

ولما انقضت الحرب اتتني مسز روزتا فوربس (وهي الآن مسز مكنغراث) بكتاب

من المستر رود طالبة ان ترافقنا في تلك الرحلة . فجعلنا نرسم خطة سفرنا ولكن لما حان وقت السفر حدث ما منع المستر رود من مرافقتنا فرحنا انا ومسز فوريس وحدنا . فسنا من جدايه في نوفمبر سنة ١٩٢٠ . ومعنا قافلة أعدها لنا السيد ادريس و بلغنا الكنغرة في ١٤ يناير سنة ١٩٢١ . ثم رجعنا الى الجنوب مارين ببئر الذكر ومنها الى واحة سيوه فالاسكندرية (انظر الخريطة المقابلة وتفصيل هذه الرحلة في مقتطف يناير ١٩٢١)

ورحتي هذه الى الكنغرة زادت رغبتي في الارتحال فانني رأيت حينئذٍ ان وراء الكنغرة قفراً مترامياً لم تطأهُ رجل مستكشف و بلغتني اخبار عن واحات مجهولة لا يعلم عنها شيء الاَّ بالاحاديث المتناقلة . واحات مجهولة هذا مما يشحذ الهمم و يزيد الشوق الى ارتياد المجاهل !

حسين بك على جواده الدربي بركة ورجال القافلة المرافقون

فرجعت الى مصر عازماً على العودة وان لا اقنع بالوصول الى الكنغرة بل احث الركاب الى ما وراءها حتى ابلغ بلاد السودان واعود من هنالك بطريق الخرطوم . وهناك امر آخر زاد رغبتي في السفر وهو اننا في الرحلة الاولى لم يكن معنا من الالات العلمية الاَّ بارومتر انرويد و بوصلة مضبوطة ولذلك لم يكن في الامكان الوصول الى ارصاد علمية وغاية ما وصلنا اليه معلومات عن الطريق دوَّنتها بما كان لديَّ من الوسائل الضئيلة ولذلك عزمت ان اتجهز في الرحلة التالية بما يلزم من الآلات لمسح البلاد التي نمرُّ فيها لعلي اتمكن من ان اضيف شيئاً الى ما يعرف عن صحراء ليبيا جغرافياً وطبوغرافياً

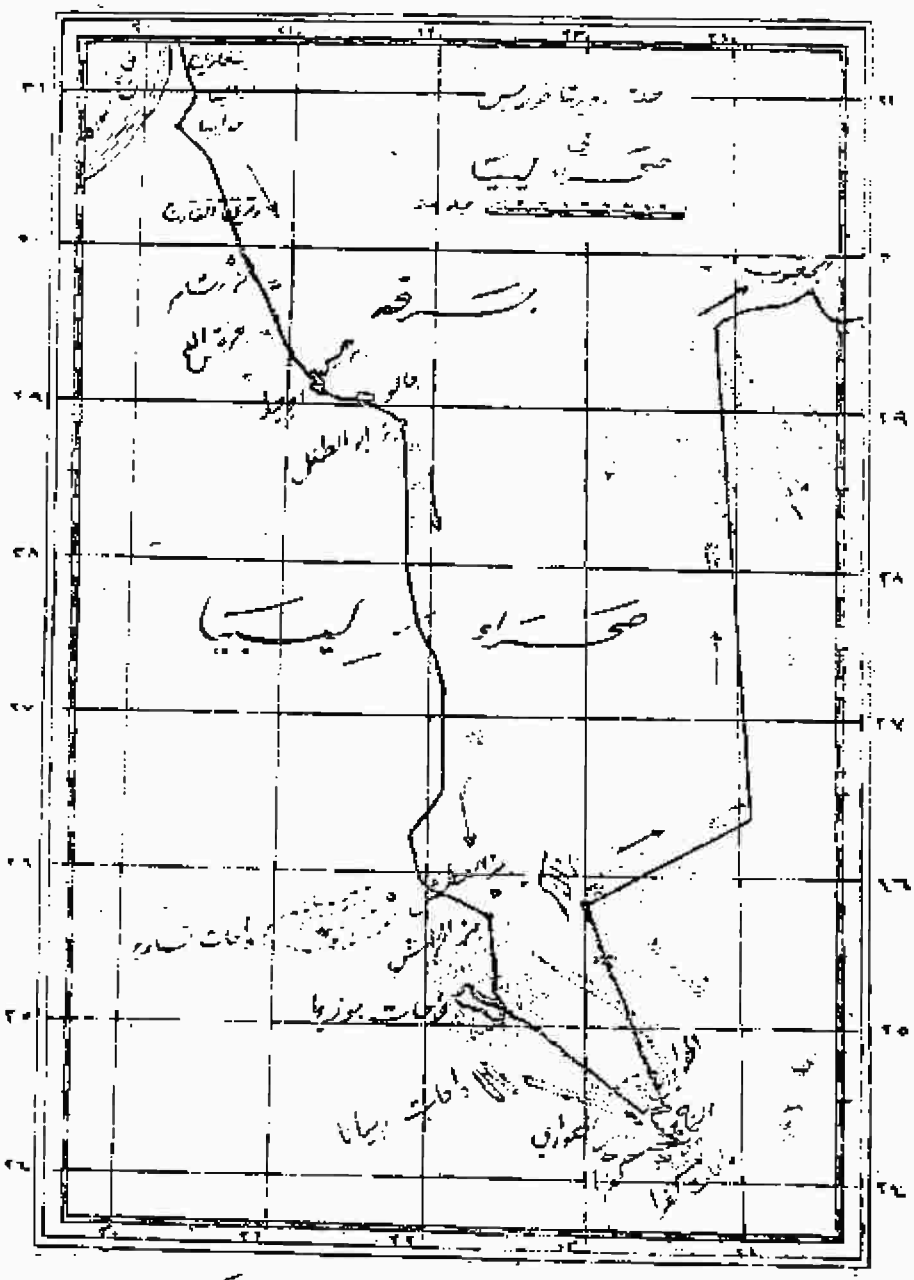

خريطة رحلة حسين بك ومسز فوربس الى الكفره

مقتطف يونيو ١٩٢٥

امام الصفحة ٢

فرحت الخطة التي كنت عازمًا على اتباعها ورفعتها الى جلالة مولاي الملك فؤاد الاول فقابل جلالتهُ مشروعي بالاستحسان والتنشيط التام وأمر ان أُعطى اجازة طويلة. وزلا تعطفهُ وتشجيعهُ لما تكلل مشروعي بالنجاح الذي تكلل بهِ

بلغت السلوم في الحادي والعشرين دسمبر سنة ١٩٢٢ . وقبلني الجغبوب مقام السنوسية العلي ومدفن السنوسي الكبير وهي على ٣٠٠ ميلاً من السلوم جنوبًا . وقبلها غادرت السلوم بلغني ان الجمالة الذين استأجرتهم ليذهبوا معي الى الجغبوب اتفقوا على ذهب ما معي في الطريق فغيرت خطة سفري واستأجرت جمالة آخرين ليذهبوا معي الى سيوه ناويًا ان اذهب الى الجغبوب منها. وقامت قافلتي من السلوم في الثاني من يناير سنة ١٩٢٣ ووصلتُ بها بعد يومين . ومن السلوم الى سيوه تسعة ايام وكنت اهتم في اثناء الطريق بتغطية الصناديق التي فيها الآلات الطبية حتى تظهر كأنها من الامتعة العادية التي يحملها البدو في رحلاتهم. ورأيت في اليوم الخامس ظبيًا يرتمي على مقربة من الطريق فقصدتهُ والجمال سمعت ضجة من رجالي كأنهم ينهونني عن اللحاق بهِ فلم افهم ما غرضهم من ذلك لاسيما والي اعلم شدة قربهم الى الفهم وحسبت انهم خافوا ان اضل الطريق . وبعد قليل تمكنت من اطلاق بندقيتي على الظبي فوقع صريعًا فحملتهُ وعدت بهِ الى القافلة فاسرع الجمالة الى لقائي فرحين متهللين . ثم علمت ان من تقاليدهم ان ما يصيب القافلة من نجاح او فشل يتوقف على الطلقة الاولى التي تطلق من بندقية بعد الشروع في السير فاذا اصابت فالرحلة ناجحة واذا اخطأت فالفشل نصيبها فاوجسوا شرًّا من تعرضي للظبي لئلاَّ اخطئهُ فيحلَّ بهم ما يحذرونهُ ولو علمت ذلك قبلاً لما كنت اقل منهم حذرًا ولابقيت اطلاق بندقيتي الى ان نبلغ القاشر في ختام الرحلة

واستأجرت جمالة آخرين من سيوه للذهاب الى الجغبوب وهي على اربعة ايام من سيوه فالتقينا في منتصف الطريق بالسيد ادريس السنوسي آتيًا الى مصر فاعطاني مكاتيب توصية الى ابن عمهِ السيد محمد العابد سيفي الكفرة والى وكلائهِ في الجغبوب وجالو والكفرة. ولمعرفتي القديمة بالسيد ادريس الشأن الاكبر في نجاح هذه الرحلة والرحلة التي سبقتها الى الكفرة سنة ١٩٢١ . ولما ودعتهُ دعا لي ولرجالي بالتوفيق فاصرَّ رجالي على السير في الطريق الذي جاء فيهِ تبركًا ولو كان اطول من غيرهِ فوافقتهم على ذلك

ولما بلغنا الجغبوب رحَّب بنا السيد حسين وكيل السيد ادريس وسائر الاخوان

[وهنا استطرد حسين بك الى ذكر السنوسية وتاريخها ثم قال]

لم استطع ان اغادر الجغبوب الاَّ بعد اكثر من شهر لما وجدته من الصعوبة في استئجار الجمال فاقمت فيها ٣٥ يومًا كانت ايام سكينة وسرور وغادرتها والسعد في خدمتي حسب رأي اهل البادية لان يوم مغادرتها كان يوم زوبعة رملية (هبوب) . وتعلم جروا في اعتقادهم هذا على قول من قال اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون . والمسافة من الجغبوب الى حالو سبعة ايام لكننا اضطررنا ان نقطعها في اثني عشر يومًا بسبب تلك

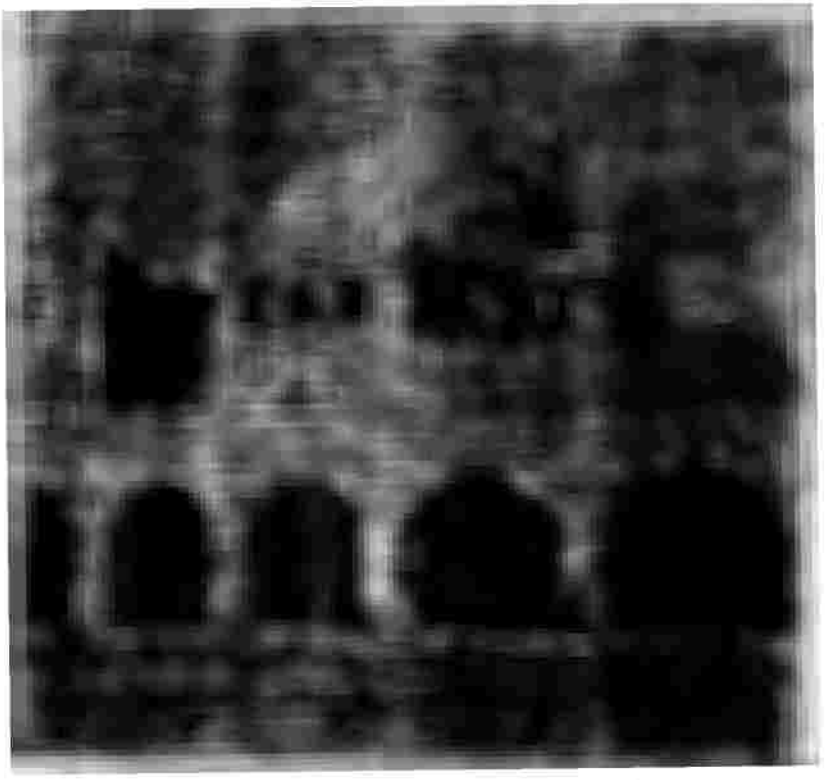

قبة الجامع في واح الجغبوب تتوي تحتها رفات السنوسي الكبير

الزوبعة . يطلع النهار والسماء صافية الاديم لا دليل على زوبعة ولا على ريح والصحراء منبسطة امامنا كأنها تبسم لنا فتسير القافلة متهادية ثم يهبّ نسيم عليل يمشّ النفوس وبعد قليل يزيد جرأة فتلتفت واذا وجه الصحراء قد تغير كأن اثايب من الجمار انتشرت افواهها تحتهُ وشرعت تقذف بخارها فيثب الرمل بغ و يدور على نفسه ويصعد في الهواء كأنَّ في

الارض قوة دافعة تدفع رملها وتدفع ما فيه من الحصى فتصيب الارجل والاقدام وتعمل اعاصير الرمال وتلطم الوجوه والرؤوس . ويطبق الجو حتى لا ترى من القافلة الا أقرب جمالها إليك ثم لا تلبث الريح أن تصير رمالاً وحصباء تعمي العيون وتلطم الرؤوس والأبدان والسعيد من هبت تلك الريح في ظهره لا في وجهه لأن الرمل يخص الوجوه كالإبر ولا يستطيع المسافر أن يغمض عينيه لأن الضلال في تلك الفدافد شر من الزوبعة

لكن العاصفة لم تكن متصلة الاوصال بل كان فيها فواصل كأنها هبات تأتي ثلاثاً او رباعاً وبينها فترات تطول بضع ثوان فاذا بدأت الهبة ادار المرء وجهه وبسط كوفيته أمامه ليقيه منها واذا جاءت الفترة ابعد الكوفية وتنفس والتفت ليرى طريقه واستعد للهبة التالية كأن وحشاً هائلاً من الوحوش الخرافية كان يتنفس فيقذف الرمل في وجوه الناس او كأن اصابع جبار مرت على اوتار مشدودة « فخت كأنها مرزاة تكلى ترن وتعول »

واذا لقي المرء زوبعة رملية (هبوباً) فلا سبيل له الا ان يواصل السير لانه اذا اعترضها شيء ثابت عموداً كان او جملاً او انساناً تراكم رملها حوله وصار به كثيباً فاذا كان السير في الزوبعة الرملية ليلاً فالوقوف فيها موتاً زؤاماً

وقد يطول امد الزوبعة خمس ساعات او ستاً وحينئذ لا بد للقافلة من متابعة السير بتأنٍ وحذر لئلا تضل الطريق واذا بلغت اشدها مشت الجمال مشياً وئيداً عالمة ان في الوقوف عن السير الموت المحتوم بدليل انها تقف عن السير وتبرك حالما يقع المطر

ومن شأن الزوبعة انها تسفي الرمل وتدخله في كل خروب وحلك فيصل الى الثياب وانزاد والآلات والادوات وتشعر به وتتنفسه وتأكله وتشربه وتكرهه وتتقاطر منه وادق اجزائه يدخل مسام بدنك فتشعر بحكة مؤلمة

بعد ما جزنا بئر ابو سلامه وهي على مرحلة من الجنبوب سرنا في ارض فيها بقايا اشجار متحجرة فكنا نرى منها من وقت الى آخر قطعاً منصوبة في الصحراء اعلاماً للسابلة كأنها اجزاع شجر ماثلة تقلتها الطبيعة من عالم النبات الى عالم الجماد واذا سقط واحد منها فالعرف العام بين البدو يقضي بنصبها ثانية لاهتداء القوافل

بلغنا جالو في الخامس من شهر مارس وهي ام الواحات هناك لجودة تمرها ولانها محطة

القوافل تجتاز الآتية من ... في ... جنوبي ... ويمر ... من وادي ... تأتي ... الى ... شمالاً

وكثير ... خطيرة ... من ...

[illegible]

باه مات على ... ابن ... ان اباه قضى في حومة الوغى

والقوافل ... وتحط ... فيها ... في ... للسير الى الكفرة

في رحلتي الاولى اليها سنة ١٩٣١ اهتم السيد ادريس بتدبير لوازم السفر كرماً منهُ فكان لذلك شأن كبير في نفوس البدو فاضعف ما فيهم من شكوك وسلمهم من التعرُّض لنا بسوء اما الآن فاضطررت ان ادبر امر الجمال وكانت كثيرة لكثرة ما معنا من الامتعة ولاسيما الآلات العلمية التي عليها يتوقف نجاح الرحلة . والرحلة السابقة كانت في الفصل المناسب من السنة اما هذه فاخرتني العوائق عن جعلها في ذلك الفصل

اقمت في جالو عشرة ايام استعد لقطع قفر لا ماء فيهِ وقبول الدعوات لولائم وجوه جالو وايلام الولائم لهم . واهم من ذلك الارصاد التي رصدتها هناك فرصدت الشمس والنجوم لمعرفة مكان الواحة بالتدقيق ودوّنت درجات البارومتر والثرمومتر لمعرفة الارتفاع وكان رولفس قد وجد سنة ١٨٧٩ ان ارتفاع جالو مثل ارتفاع سطح البحر فثبت لي من المقابلة بالارصاد التي رصدتها في سيوه ان جالو صارت الآن أعلى مما كانت في زمن رولفس ستين متراً ورأيت تعليل ذلك ميسوراً بما تسفيه الرمال فاني وجدتها قائمة حول جذوع الاشجار والى جانب الجدران تكاد تدفنها حتى اضطر بعض السكان ان ينقلوا بيوتهم الى اماكن مرتفعة فان البيت الذي كنت فيهِ حيث دونت قراءات البارومتر كان يعلو فوق بيوت القرية ١٥ متراً الى ٢٠

وكنت الزم الحذر التام في ارصادي لان البدو يسيئون الظن اذا رأوا آلة كثيرة الاجزاء كالثيودوليت وشأنهم ان يقولوا حينئذٍ اني اقصد تخطيط البلاد لاجل التغلب عليها وفتحها . واول مرة رآني شيخ من شيوخهم استعمل الثيودوليت سألني في ذلك فأجبتهُ على الفور جواباً اقنعهُ وهو اني ابحث عما تتبيَّن بهِ بداءة شهر رمضان

وكان معي رجل اسمهُ عبد الله كنت اعتمد عليهِ في اخفاء اعمالي العلمية عن الذين يوجسون منها شرًّا وكان هذا الرجل آية في تسكين الخواطر . كنت مرة استعمل الثيودوليت وانا في جالو فقيل لنا ما انتم فاعلون فاجابهُ عبد الله اننا نصور البلد فقال الرجل وكيف تصورونها وانتم بعاد عنها فاجابهُ عبد الله أن الآلة تجذب الصورة فتطير اليها . فقال الرجل كيف تجذب الآلة الصورة فقال عبد الله اسأل المغنطيس كيف يجذب الحديد . فسكت الرجل كأنهُ أفحم

وفي الخامس عشر من مارس شرعنا في السير ووجهتنا الكفرة وكان في القافلة ٣٩ جملاً و٢١ رجلاً وفرس وكلب وكان الحر شديداً والقفر امامنا كبساط لا حد لهُ رمال فيها

حصباء مبعثرة هنا وهناك . فسرنا قاصدين آبار الفيض املين ان نصل اليها في ثمانية ايام او تسعة . ورأينا في طريقنا عصائب من الطيور قاطعة شمالاً وفي مياه من العطش فقدمنا لها الماء فجعلت تجثم على ايدينا وفي ثغوره

مرت الايام في هذا القفر على هذه الصورة نهض بعيد الفجر لان البرد اشد من ان تكفي دثرة لتدفئة اجسامنا ويكون واحد قد اضرم النار فابادر اليها وانا ملتف بجردي وكوفيتي تغطي اذنيّ والتفت الى ما حولي فاذا كل واحد ملتف بجرده وكل وما تصل اليه يده من الثياب واذا كان الماء كافياً اغليّ الشاي واديرت كؤوسه على الرجال فيشربونه ويشرعون في اعمالهم . يذهب رجلان لاطعام الجمال ثمراً يابساً فتقضمه هو ونواه ويتذاكر الجمالة احياناً في امر حمولتها اذا رأوا منها ما يستدعي ذلك اما بالتخفيف عن واحد والتثقيل على آخر او بتغيير حزمها . ويقوّض بعضهم الخيام وهي ثلاث تنصب في زوايا مثلث والجمال في وسطه . وانا اكون قد التفتُّ الى البارومتر والثرمومتر ودونت درجاتهما في يوميتي العلمية ووضعت شرائط جديدة في آلات التصوير الشمسي واصوات الرجال خافتة لان الكوفيات حول افواههم . ويكون الطعام قد تهيأ فنفطر عصيدة او ارزاً وما من احد يحجم عن اكلة الصباح وهو في القفر كما يحجم ودو في المدن . وتتبع العصيدة بثلاث كؤوس من الشاي تُشرَب حسواً . اذا اردت ان يعمل رجالك عملهم في القفر بهمة ونشاط اطعمهم الى الشبع واسقهم الشاي ودعهم يشربونه على هينتهم ابخل عليهم او استعجلهم فيصيبك منهم الضرر بدل النفع

بعد الاكل يشعر كل احد بالدفء فتُحمَّل الجمال والتفت انا الى الدليل فيرسم لي خطاً على الرمل يقول انا نسير فيه فاتحقق جهته بالجلك وهو ينظر اليّ حاسباً ما افعله مخافة لا تنفع ولكنها لا تضر . والغالب ان لا داعي لهذا التحقيق لان هذا الدليل واسمه ابو حسن لا يخطىء السير كأنه حمام الزاجل ولا يتردد الاّ في الظهيرة قائلاً « انه متى كانت الشمس عالية وخيالي بين قدميّ يدور رأسي » ويضل احياناً بين غروب الشمس وطلوع النجوم وقد رأيت دليلاً مرة حاد عن الطريق تسعين درجة في ذلك الوقت

ستأتي البقية